

**الاهمية الجيوسياسية لأنابيب نقل الغاز من دول إنتاجه
إلى أوروبا في العلاقات الروسية التركية**

د.مثنى مشعان المزروعى

استاذ مساعد -الجامعة المستنصرية- كلية التربية

الملخص :

لقد انطلق الباحث في دراسته من خلال سؤال مفاده: هل لأنابيب الغاز وامتداداتها في منطقة الشرق الاوسط أثر في العلاقات الجيوسياسية الروسية - التركية؟ وقد كانت الاجابة الاولية ان هناك تأثير كبير لأنابيب الغاز وامتداداتها في منطقة الدراسة على العلاقات الجيوسياسية التركية الروسية. وقد توصل البحث الى ان مستقبل العلاقات التركية الروسية مرهون بمستقبل الطاقة في اوربا لاسيما إمدادات الغاز، وهو ما يدفع الباحث لطرح مشهدين لمستقبل تلك العلاقات: -

الأول: استمرار العلاقات الجيوسياسية على نهجها القائم على التفاهم والتنسيق بين الدولتين.

الثاني: تدهور العلاقات بسبب وجود الخلاف بينهما لا سيما حول سورية. ورغم أن خيار التهدئة هو الخيار الأفضل الا إن مشهد الانزلاق إلى التصعيد يُعد أمراً وارداً بسبب حالة الغليان التي تشهدها المنطقة.

الكلمات المفتاحية: (انابيب الغاز، الجيوسياسية، العلاقات الروسية التركية)

Abstract

The researcher began his study by asking: Does the gas pipelines and their extensions in the Middle East have an impact on the Russian-Turkish geopolitical relations? The first answer was that there was a significant impact on the gas pipelines and their extension in the study area on the Turkish-Russian geopolitical relations.

The research concluded that the future of Turkish-Russian relations depends on the future of energy in Europe,

especially the gas supply, which prompts the researcher to present the future of these relations:

First: the continuation of geopolitical relations on the basis of understanding and coordination between the two countries.

Second: the deterioration of relations because of the differences between them, especially about Syria.

Although the option of calm is the best option, but the scene of the slide to escalation is inevitable due to the boiling situation in the region

المقدمة

تعد التأثيرات الجيوسياسية أو تأثيرات المتغيرات الطبيعية والبشرية لأي بلد على علاقاته مع دول جواره الجغرافي او محيطه الإقليمي والدولي، عوامل أساسية في صناعة توازن القوى بين المتنافسين الإقليميين والدوليين، ومنطلقاً لرسم السياسات السوقية (الستراتيجية)، التي يعتمد عليها أي بلد يتمتع بتلك المؤثرات في إدارة مصالحه القومية على الصعيد السياسي والعسكري والاقتصادي، إذ لا تقتصر حسابات القوة على الجانب العسكري للدول فحسب، بل يقاس معها أيضاً الحسابات التاريخية والاثنية للسكان، أي الجوانب الدينية والعرقية والثقافية. فضلاً عن المقومات الاقتصادية والاجتماعية لاسيما وأنها الأكثر تأثيراً في المحيط الإقليمي بشكل خاص وعلى الساحة الدولية بشكل عام. ويتوقع أن تؤدي مصادر الطاقة دوراً بارزاً في شكل الجغرافية السياسية والاقتصادية للعالم في الالفية الثالثة من خلال ظهور معابر للطاقة، نفطية وغازية، جديدة منفتحة على احتمالات متعددة. ومن هذه المعابر منطقة البحر الأسود وبضمنها تركيا وروسيا. وهي المنطقة الوسيطة التي تؤدي دوراً مهماً في تجارة النفط والغاز، والمرشحة لأن تنمو كمجال حيوي لتجارة الطاقة على تقاطع طرق عالمية.

ولفهم الأزمات المتعاقبة التي تشهدها منطقة المشرق العربي ومحيطه الإقليمي، حيث تعد تركيا إحدى القوى الإقليمية الفاعلة فيها، لابد من فهم الخريطة الجيوسياسية، أو التأثير الجغرافي لتركيا وما يحيطها من القوى الإقليمية والدولية، وربط مجريات الصراعات القائمة في المنطقة مع ما تشهده الساحة الدولية من منافسات ومحاولات الهيمنة التي تخوضها القوى العالمية الكبرى على المستوى السياسي والاقتصادي والعسكري والتي من أبرزها روسيا التي تدخلت بقوة في المنطقة بعد خروجها من الإطار الإقليمي، لتعمل ضمن خريطة واضحة المعالم لتوسيع نفوذها الدولي، لاسيما وان لها حدود مشتركة ومصالح مشتركة مع دول المشرق العربي ومحيطه الجغرافي ومع القوى الكبرى التي لها

استراتيجياتها المحددة في المنطقة والمتمثلة بالولايات المتحدة والدول الأوروبية، وهذا كله القى بظلاله الجيوسياسية على واقع العلاقات الروسية التركية. ويعد الصراع الدائر حالياً في العراق وسوريا، أكثر الصراعات دموية وتعقيداً في تاريخ المنطقة. وهذه الصراعات تعود إلى المتغيرات الجيوسياسية وتأثيرها في السياسة الإقليمية والدولية.

والصراعات الداخلية هذه فتحت الباب على مصراعيها امام الدول الكبرى للبحث عن مصالحها ورعايتها في المنطقة. ودخلت هذه الدول في تنافس وصراع محموم اجج الصراعات الداخلية في دول المنطقة بتخطيط ودعم وتوجيه من تلك القوى، وكان الصراع حول الغاز أبرز واهم هذه الصراعات لاسيما وان الغاز الطبيعي يشكل المادة الرئيسة للطاقة في الألفية الثالثة سواء من حيث البديل لتراجع احتياطي النفط عالمياً أو من حيث الطاقة النظيفة، ويرى البعض ان حاجة الدول المتزايدة للطاقة ستزيد من تفاقم التوترات والنزاعات الاقليمية والدولية خلال السنوات القادمة، لاسيما وأن المخزون العالمي للطاقة لا ينمو بمعدلات تواكب الطلب المتزايد.

ان استهلاك العالم من النفط سينمو بأكثر من 5% خلال الربع الأول من القرن الحادي والعشرين ليصل إلى أكثر من 12 مليار برميل يوميا بحلول عام 2025، وسيزيد أيضا استهلاك العالم من الغاز الطبيعي بنسبة 57% عما هو عليه الآن، مما سترتب عليه نقص كبير في الكميات المعروضة وارتفاعات متواصلة في الأسعار. فضلاً عما ستواجه شركات الطاقة العالمية من عجز عن تلبية الطلب المتزايد، وما سيؤدي إليه هذا الوضع من ضغوط شديدة داخل الدول المستهلكة لزيادة نصيبها من الطاقة، الامر الذي سيزيد التنافس والصراع من أجل الحصول على الطاقة.

وبحسب بعض المراقبين فإن غالبية الدول الأجنبية المشاركة في الصراع الذي يجري اليوم في المشرق العربي ومحيطه الإقليمي وخصوصاً في العراق وسوريا هي دول مصدرة للغاز، ولديها مصالح وارتباطات معينة في واحد من

مشروعين متنافسين من خطوط أنابيب يسعى كلٌّ منهما إلى عبور الأراضي السورية لنقل الغاز إلى أوروبا عبر تركيا.

وهذا يوضح أهمية وخطورة موقع تركيا، فهي تقع في قلب العالم القديم الأمر الذي يؤهلها لان تكون دولة محورية أو حاسمة في المجال الجيوسياسي، ويؤهلها في ذلك كونها دولة قارية وبحرية في ذات الوقت، وتحدها ثماني دول، كما تحدها المياه من ثلاث جهات، تسيطر على ممرين مائيين مهمين، وتتمتع بموقع جغرافي سوقي. مما يعطيها القدرة على التحكم في هذه المنطقة الحيوية. وبالتالي تعد ممراً لعبور السلع التجارية وحلقة وصل بين روسيا وآسيا الوسطى وأوروبا، والاحيرة هي واحدة من أكبر مستهلكي الغاز في العالم فضلاً عن مجاورتها لدول تمتلك 70% من احتياطات الغاز المعروفة في العالم.

وأدركت تركيا أهمية تعاونها التجاري مع روسيا، لذلك وصلت علاقتها تلك إلى ذروة غير مسبوقة من التعاون مع بداية الالفية الثالثة، وتحول الطرفان إلى مفتاح للأمن والاستقرار في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز رغم ما فيهما من عناصر توتر كبيرة. في وقت شهد فيه العالم أزمة اقتصادية عميقة لاتزال تلقي بظلالها إلى اليوم.

ومن خلال هذا التعاون ومفاصل الصراع التي حدثت في المنطقة بين الدول الكبرى يبرز دور انابيب الغاز في العلاقات الجيوسياسية الروسية التركية بوضوح لاسيما وان تركيا تعد بوابة اوربا الشرقية، لذلك ستنطلق مشكلة البحث في هذه الدراسة من خلال سؤال مفاده: هل لأنابيب الغاز وامتداداتها في منطقة المشرق العربي ومحيطه الاقليمي أثر في العلاقات الجيوسياسية الروسية - التركية؟ وتتمثل فرضية البحث بوجود تأثير كبير لأنابيب الغاز وامتداداتها في منطقة الدراسة على العلاقات الجيوسياسية التركية الروسية.

ولتوضيح ما تقدم تناولت الدراسة ثلاثة مباحث:

درس المبحث الاول منها التوزيع الجغرافي لمناطق احتياطي الغاز الطبيعي ونتاجه واهميته الجيوستراتيجية في العلاقات الدولية. وتم التركيز على اهم أربع

دول منتجة وهي روسيا وإيران وقطر وتركمانستان، وهذه الدول تعتمد في تصدير منتجاتها من الغاز الطبيعي بوساطة الانابيب، وتتجه معظم تجارة الغاز الطبيعي نحو اوربا. وهذا يعني ان انابيب تصدير الغاز لهذه الدول في الغالب تمر عبر الاراضي التركية. وهو ما تمت دراسته في المبحث الثاني الذي تناول امتداد نقل الغاز التي وضحتها مجموعة الخرائط الجغرافية الخاصة بهذا المبحث.

تضمن المبحث الثالث انعكاسات امتداد انابيب الغاز على العلاقات الجيوسياسية الروسية التركية. والذي سيتبين فيه بأن هناك انعكاسات مهمة لأنابيب الغاز على علاقات تركيا ليس مع روسيا فقط بل مع مجموعة الدول التي تناولها البحث، لاسيما وان امتداد هذه الانابيب سيزيد من قوة تركيا السوقية، ومن الاهمية الجيوستراتيجية لموقع تركيا الجغرافي، وظهر هذا بشكل واضح بعد ان اتسعت دائرة الارهاب في منطقة الدراسة، وأصبح المفاوضات التركي حاضراً بقوة في المؤتمرات الدولية التي تعالج قضايا المنطقة، وهذا كله جعل تركيا احدى القوى الرئيسية في منطقة الدراسة.

المبحث الاول:

التوزيع الجغرافي لمناطق احتياطي الغاز وإنتاجه واهميته السوقية في العلاقات الدولية:

الغاز الطبيعي مركب كاربوني يحتوي على العناصر الرئيسية نفسها المكونة للنفط، ويوجد على صورة غازية، ويتميز بكونه لا لون له ولا شكل ولا رائحة، ويتواجد على صورتين هما:

1- الغاز الحر (Free Gas) الذي يوجد في حقول حرة تحت اعماق الارض، ويكون على الاغلب من النوع الجاف، أي انه يحتوي على الأيثان والميثان بصورة اساسية.

2- الغاز المصاحب وهو مصاحب للبتروول ويظهر عند استخراجها من اعماق الارض، ويستخدم في محطات عزل الغاز (تثبيت البترول).

يتوزع الغاز الطبيعي في الكثير من أقاليم العالم ودوله، لكن هناك مناطق يتركز فيها الاحتياطي والإنتاج أكثر من سواها. ولتحديد تلك المناطق ستتم دراسة توزيع الاحتياطي وتوزيع مناطق الإنتاج.

وفيما يأتي التوزيع الجغرافي لاحتياطي الغاز على المستوى العالمي:

أصبح الغاز من مصادر الطاقة المهمة بعدان تزايد ترابط سياسات المناخ والطاقة، وقد اكتسب هذه الأهمية كونه وقود احفوري نظيف نسبياً، ونتيجة للتطورات والابتكارات التكنولوجية لاسيما التي تتعلق بتطوير الزيت الصخري. كذلك هناك يقين متزايد بان الغاز الطبيعي متوفر بكميات كبيرة، وهو أسرع مصدر اولي للطاقة نمواً، فهو ينمو بمعدل 2% سنوياً، وينتقل هذا النمو باتجاه الشرق، حيث ستصبح آسيا مركز الطلب على الغاز الطبيعي في المستقبل، إذ بلغت نسبة التجارة العالمية للغاز المسال في تلك القارة 75% في عام 2014 (معهد بروكنجز، 2015، ص6)، وتنقسم احتياطات الغاز عادة الى ثلاثة أنواع هي:

1- الاحتياطات المؤكدة: وهي الاكتشافات التي يمكن استغلالها في الشروط الاقتصادية والتقنيات المتاحة، وتكون الحقول هنا مكتشفة ومجهزة للإنتاج او هي قيد التجهيز.

2- الاحتياطات المرجحة: وهي الاكتشافات التي تؤكد احتمالية كبيرة للإنتاج، وقياس كمياتها تكون بصفة تقريبية وحقولها غير مجهزة للإنتاج.

3- الاحتياطات المحتملة: وهي الاحتياطات المشكوك بوجودها في منطقة لا تحتوي على آبار لكنها مجاورة لمنطقة احتياطات مؤكدة او مرجحة، ويعتمد تقدير كميات هذه الاحتياطات على فرضيات هندسية جيوفيزيائية.

لقد بلغ حجم الاحتياطات المؤكدة من الغاز الطبيعي في العالم نحو 196.7 ترليون متر مكعب في نهاية عام 2015، وتتركز احتياطات الغاز الطبيعي في عدد قليل من الدول قياساً بالنفط، حيث توجد اربع دول ذات احتياطات مهمة من الغاز الطبيعي، وهذه الدول هي ايران، روسيا، قطر، تركمانستان، حيث تشكل احتياطات الغاز الطبيعي في هذه الدول الأربع نسبة 58% من الاحتياطات

العالمية من الغاز (اوبك، 2016، ص2)، حيث استحوذت ايران على مركز الصدارة والتي تبلغ احتياطاتها ما نسبة 17.2% من احتياطيات العالم، أي ما يعادل 34 تريليون متر مكعب من الغاز الطبيعي في نهاية عام 2015 ، وهناك زيادة بلغت 200 مليون متر مكعب في عام 2014 (ينظر الجدول 1).

تأتي روسيا في المرتبة الثانية حيث يشكل الاحتياطي الذي تملكه 16.4% من احتياطيات العالم، أي ما يعادل 32.3 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي في نهاية عام 2015، ويتبين من الجدول (1) ان هناك زيادة بلغت مليار متر مكعب في عام 2014، واکد التقرير السنوي للنفط والغاز الذي أعدته شركة الطاقة الإيطالية "ENI" زيادة في حجم احتياطيات الغاز الروسية في نهاية 2013 بنسبة 1.5% مقارنة بالمدة نفسها من العام الذي سبقه (https://www.eni.com/it_IT/home.page)، وتأتي قطر في المركز الثالث باحتياطيات تبلغ 24.4 ترليون متر مكعب من الغاز أو ما يعادل 12.4% من مجموع الاحتياطي العالمي. وفي المركز الرابع وبفارق كبير جاءت تركمانستان باحتياطيات قدرها 17.5 ترليون متر مكعب من الغاز وهو يعادل 8.8% من احتياطي العالم من الغاز.

من خلال الشكل (1) يظهر ان هناك تباين كبير من حيث كمية الاحتياطي بين الدول الأربع التي تتصدر العالم في كميات الاحتياطي من الغاز.

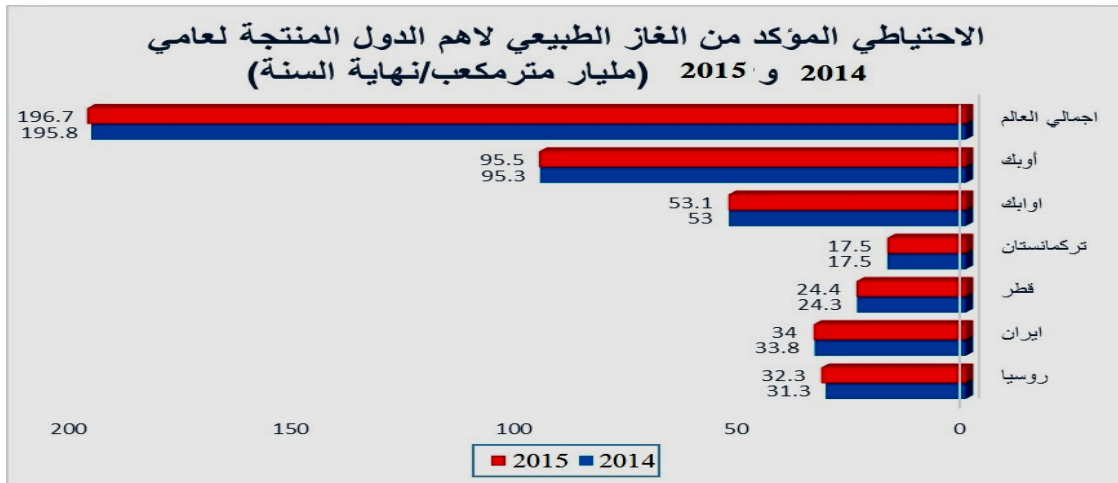
الجدول (1)

الاحتياطي المؤكد من الغاز الطبيعي لاهم الدول المنتجة لعامي 2014 و 2015 (مليار مترمكعب/نهاية العام)			
الدولة	2014	2015	النسبة من مجموع الاحتياطي العالمي (%)
روسيا	31.3	32.3	16.4
ايران	33.8	34	17.2
قطر	24.3	24.4	12.4
تركمانستان	17.5	17.5	8.8
اوابك	53	53.1	26.9
أوبك	95.3	95.5	28.5
اجمالي العالم	195.8	196.7	

المصدر:- من عمل الباحث بالاعتماد على:-

1. منظمة الأقطار العربية المصدر للنفط اوابك، التقرير الاحصائي السنوي لعام 2016، الكويت، ص 14
2. BP ,Statistical Review of World Energy, June 2016, p. 20.

الشكل (1)



المصدر: بالاعتماد على الجدول (1)

اما إنتاج الغاز الطبيعي فقد تربعت الولايات المتحدة الامريكية على عرش الدول المنتجة له حيث بلغ إنتاجها 767.3 مليار متر مكعب، أي ما يعادل 21% من الإنتاج العالمي (BP, 2016, p. 20)، اما روسيا فقد جاءت بالمرتبة الثانية حيث أنتجت 673.3 مليار متر مكعب أو ما يعادل 18.4% من مجموع الإنتاج العالمي، ومن خلال الجدول (2) يلاحظ ان الزيادة السنوية كانت 2.3 مليار متر مكعب من انتاج روسيا لعام 2014 الذي بلغ 671 مليار متر مكعب. وهذه الزيادة تعد قليلة قياساً ببقية الدول قيد الدراسة. وفي المرتبة الثالثة جاءت إيران بكمية انتاج بلغت 192.5 مليار متر مكعب، ثم تلتها كل من قطر وتركمانستان (168.5، 57.7) مليار متر مكعب على التوالي.

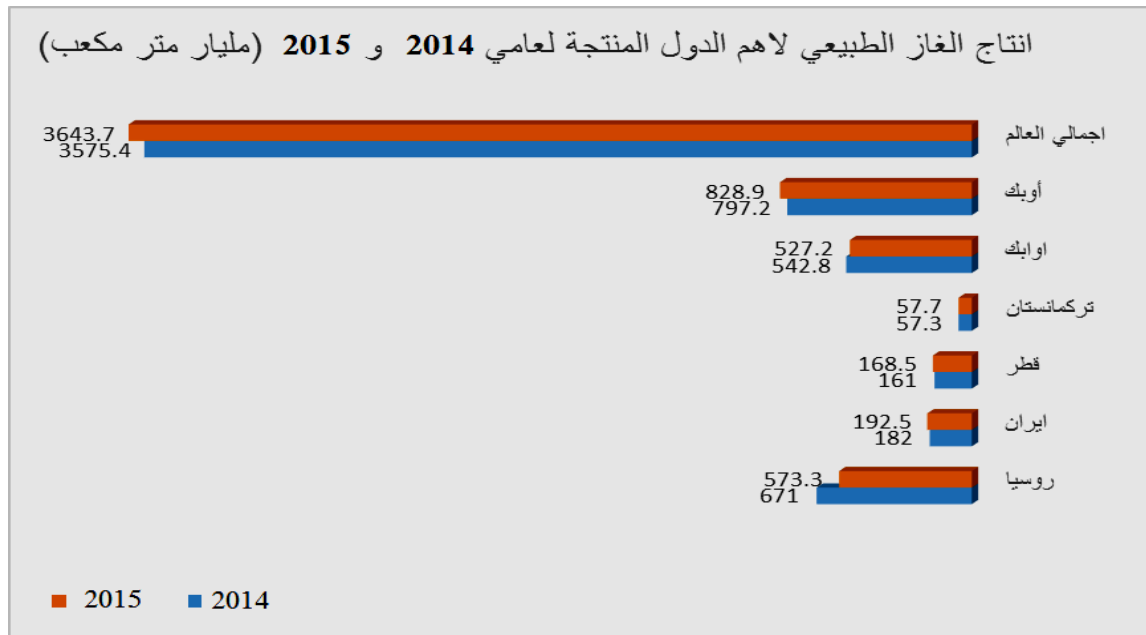
ومن الشكل (2) يظهر ان التباين بين الدول الأربع في كميات الإنتاج أكثر منه في كميات الاحتياطي، وهذا يعود الى الحاجة الى الإنتاج. فالدول الصناعية المتقدمة والتي لديها اعداد كبيرة من السكان يزداد انتاجها لزيادة الطلب، لذلك يلاحظ ان الولايات المتحدة الامريكية التي لم تتم دراستها بين الدول الأربع، والتي تمتلك اعلى كميات الاحتياطي مما يجعلها تصدر الدول المنتجة للغاز، وكذا الحال بالنسبة لروسيا التي جاءت بالمرتبة الثانية لتتقدم على إيران التي تفوقها من حيث الاحتياطي.

الجدول (2)

انتاج الغاز الطبيعي لاهم الدول المنتجة لعامي 2014 و 2015 (مليار متر مكعب)			
النسبة من مجموع الإنتاج العالمي (100)	2015	2014	الدولة
18.4	573.3	671	روسيا
5.2	192.5	182	ايران
4.6	168.5	161	قطر
1.5	57.7	57.3	تركمانستان
14.4	527.2	542.8	اوابك
22.7	828.9	797.2	أوبك
	3643.7	3575.4	اجمالي العالم

المصدر: بالاعتماد على: منظمة الأقطار العربية المصدر للنفط اوابك، التقرير الاحصائي السنوي لعام 2016، الكويت، 2017، ص34..22. BP ,Statistical Review of World Energy, June 2016,

الشكل (2)



المصدر: بالاعتماد على الجدول (2)

يتضح مما تقدم ان الدول الأربع التي لا بد وان تمر خطوط نقل غازها الى اوربا عبر الأراضي التركية تنتج ما يزيد على 66% من الإنتاج العالمي الذي بلغ في عام 2015 نحو 3643.7 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي، وهو ما سيساهم بقوة في التأثير على العلاقات السياسية للدول الأربع، لاسيما روسيا التي سيظهر تأثير انابيب نقل الغاز على علاقاتها السياسية بصورة أكبر في الصفحات القادمة من البحث.

المبحث الثاني: امتدادات انابيب نقل الغاز العابرة للحدود التركية:

ينظر الكثير الى النفط والغاز على أنهما أداتان من أدوات الصراع، لأنه غالباً ما ينظر الأفراد والجماعات العرقية والحكومات إلى أن السيطرة على الموارد الشحيحة ما هي إلا لعبة محصلتها صفر. فهم يتنافسون فيما بينهم على الملكية، لكن يمكن أن تمتد المنافسة بسهولة لتتحول إلى صراع. ولهذا يبدو من الغريب أن نتساءل عما إذا كان يمكن لخطوط الأنابيب أن تسهم في حل النزاعات القائمة بين الدول.

في هذا المبحث سيتضح بأن ذلك ممكن ان يحدث وفي ظروف قد تكون مناسبة، فوجود الحاجة المشتركة للتجارة يمكن ان تكون وسيلة لتعزيز العلاقات بين الدول، وقد أولت السياسة القليل من الاهتمام لدور البنية الأساسية لخطوط الأنابيب العابرة الحدود في تعزيز العلاقات بين الدول، ونظراً لاستمرارية البنية الأساسية لخطوط الأنابيب، فإنه من المرجح أن يكون لها تأثيراً كبيراً وأكثر استدامة، وأن تخلق حوافز أكبر للتعاون.

تعد خطوط الانابيب هي الأكثر فعالية واقتصاداً، ويلاحظ أن نمو دورها مستمر وعلى نحو يبدو اكثر تسارع في السنوات الأخيرة، لا بل انه احد الأسباب الرئيسية في الكثير من الصراعات التي يشهدها العالم اليوم، وتعد البلدان الغنية بالغاز مثل روسيا وإيران وقطر وتركمانستان وغيرها من الدول مهياً بشكل جيد لتأدية دور أكبر في نقل الطاقة، ومع ذلك فهناك عقبة رئيسة، وهي إقناع

المستثمرين لدعم مشاريع خطوط الأنابيب في المناطق التي تعاني عدم الاستقرار السياسي والأمني، بيد أنه يمكن لخطوط الأنابيب في تلك المناطق تحديداً أن تؤدي دوراً إيجابياً في تخفيف حدة التوتر وتعزيز التعاون بين الدول وتعزيز الأمن الإقليمي والدولي، لاسيما وان الطلب العالمي على الغاز ينمو بوتيرة أسرع من العرض، ويتناول الباحث في هذا المبحث امتداد خطوط انابيب الغاز التي تمر عبر تركيا والخطوط قيد الانجاز والمشاريع المخطط انشاؤها.

أولاً- الخطوط المنجزة:

هناك مجموعة من خطوط انابيب نقل الغاز العاملة الآن والتي يتم نقل الغاز من خلالها عبر الأراضي التركية الى أوروبا، وهذه الخطوط هي:

1- خط تبريز انقره : وهو من الخطوط المهمة بالنسبة لتركيا لانه يزود تركيا بالغاز الإيراني فهو يصل من مدينة تبريز الإيرانية الى مدينة انقره التركية (ينظر الخريطة (1)) ، ويزود تركيا بحدود 14 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي. وقد بدأت تركيا تستلم الغاز الإيراني في أيلول عام 2001 بموجب اتفاقية مدتها 23 عاماً وقعت في عام 1996 بعد ان انتهت ايران من معظم المتطلبات الفنية (المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، 2016).

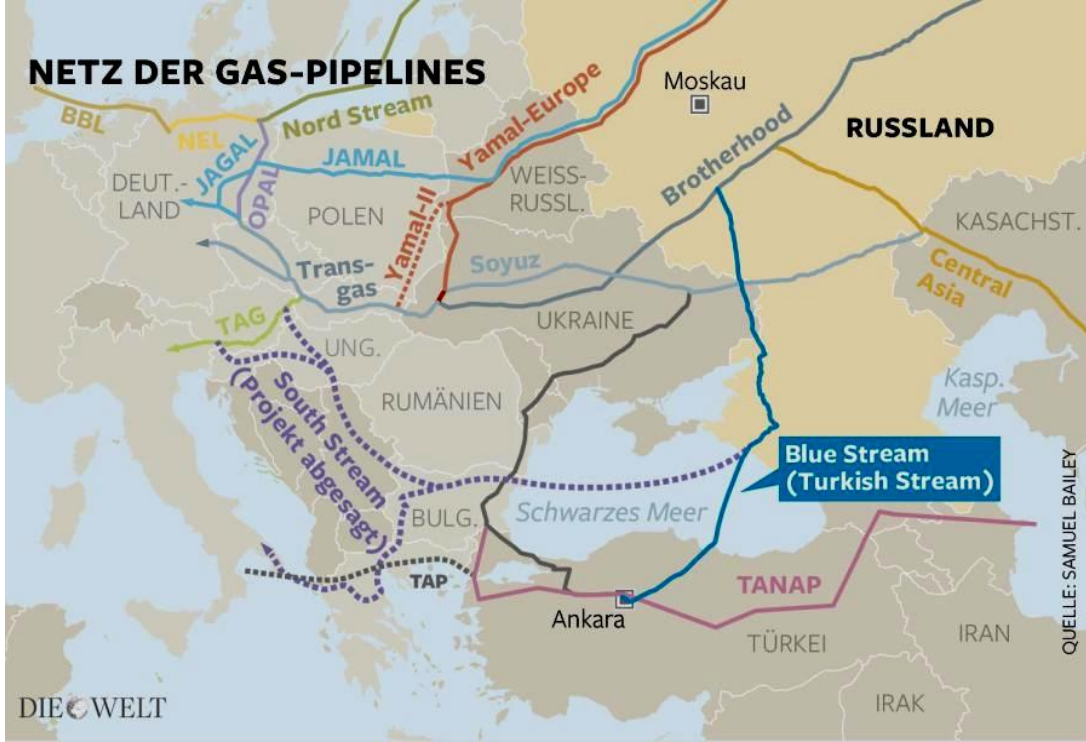
خريطة (1) أنبوب غاز تبريز انقره



المصدر: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، خطوط انابيب النفط والغاز الطبيعي في غرب اسيا وشمال افريقيا: جداول وخرائط، سلسلة البحث الراجع، مديرية الدراسات الاستراتيجية، بيروت، شباط 2016، ص21.

2- خط بلوستريم روسيا وهو أيضاً من الخطوط المهمة بالنسبة لتركيا لانه يزودها بالغاز الروسي ويمر هذا الانبوب عبر البحر الأسود. وهو الانبوب البحري الاعمق في العالم، يزود تركيا بنحو 16 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنوياً (المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، 2016، ص10)، بدأ العمل به في بدايات عام 2005، ويقطع مسافة 373 كم داخل الأراضي الروسية و444 كم داخل تركيا و400 كم تحت مياه البحر (مجلة القافلة، ص6/7). وقد صدرت روسيا في عام 2014 نحو 27.4 مليارم3 من الغاز الى تركيا عبر الخط المذكور.

خريطة (2) أنبوب غاز بلوستريم روسيا



المصدر: <http://www.newslocker.com/de-de/branche/wirtschaft/2015-01-27/> الاثنين 2017/5/15

3- خط الغاز العربي الذي تبلغ سعته نحو 10.3 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي الذي ينقل الغاز الى اوربا عبر مجموعة من الأقطار العربية وقبرص وتركيا. تم البدء بضخ الغاز في خط الغاز العربي الذي إنطلق من العريش في مصر في عام 2003 الى العقبة مروراً بطابا، ثم الى سوريا ولبنان

خريطة (3) انبوب الغاز العربي



المصدر: موقع الصندوق العربي للانماء الاقتصادي، الاحد 2017/5/14 الساعة 9 مساءً،

<http://www.arabfund.org/Default.aspx?pageId=470>

ثم الى قبرص وتركيا لينتهي في اوربا (مجلة القافلة، ص16). وقد مر انجاز هذا الخط بخمس مراحل هي:

أ- المرحلة الأولى، العريش (مصر) الى العقبة (الأردن) أنجزت في عام 2003.
ب- المرحلة الثانية من العقبة الى الرحاب (شمال الأردن) على الحدود الأردنية السورية.

ت- المرحلة الثالثة، بدأت من الحدود الأردنية السورية الى حمص (السورية)، وقد أنجزت هذه المرحلة في عام 2003.

ث- المرحلة الرابعة، من حمص الى حلب بطول 183 كم.

ج- المرحلة الخامسة للشبكة من حلب الى كلس (تركيا) بطول 62 كم، والمسافة من حمص إلى طرابلس أنجزت في عام 2009.

لقد اغلق خط الغاز العربي في أوائل عام 2012 لاجراء إصلاحات فيه بعد هجوم وقع على الخط في تموز 2011.

ثانيا. الخطوط قيد الإنجاز

هناك مجموعة من خطوط نقل الغاز قيد الإنجاز حيث بدأ العمل بها، وهذه الخطوط هي: -

1- الخط الفارسي، ينقل هذه الخط الغاز الطبيعي من حقل فارس الإيراني عبر تركيا الى اوريا. ويبدأ من حقل فارس الى مدينة بازركان ثم الى تركيا فاليونان، ثم الى إيطاليا لينفصل الى قطاعين الشمالي يتجه الى سويسرا والنمسا وألمانيا، والجنوبي يذهب الى اسبانيا وفرنسا. ينقل الخط 40 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنوياً. ومن غير الواضح ما اذا كان خط الانابيب عبر الادرياتي المنتظر تصدير غاز ايران الى اوريا سيكون جزء من المشروع ام لا، لكنه بحاجة الى استثمارات اجنبية لاتقل عن 7 مليار دولار لكي يكتمل تشييده، وهو يمكن الاتحاد الأوروبي من استيراد ما بين 20- 30 مليار متر مكعب من الغاز سنوياً، وهو مايساوي مجموع تصدير الغاز الروسي الى إيطاليا وألمانيا عام 2013 (مجلة القافلة، ص5).

خريطة (4)

انبوب الغاز الفارسي



المصدر: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، خطوط انابيب النفط والغاز الطبيعي في غرب اسيا وشمال افريقيا جداول

وخرائط، سلسلة البحث الراجع، مديرية الدراسات الاستراتيجية، بيروت، شباط 2016، ص21.

2- خط أنبوب تاناب العابر للأنضول، وهذا المشروع الأذربيجاني الذي ينقل 16 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنوياً الى اوربا عبر تركيا، قد أشرفت عليه شركة بكتاش التركية وشركة النفط الأذرية سوكار، وشركة بريتيش بتروليوم البريطانية. وقد وضع الحجر الأساس للمشروع في آذار عام 2015. ومن المتوقع ان ينقل الخط في المرحلة الأولى 10 مليار متر مكعب الى اوربا، و6 مليار متر مكعب الى تركيا بحلول عام 2019، وذلك من حقل شاه دنيز في أذربيجان على بحر قزوين وهو من اكبر حقول الغاز في العالم، وبحسب تقديرات الخبراء بإمكان ايران تصدير 20 مليار متر مكعب من الغاز عام 2020 من حقل جنوب فارس، وهي كمية كافية لتصديرها الى اوربا عبر خط تاناب (مجلة القافلة، ص6).

خريطة (5)

أنبوب غاز تاناب العابر للأنضول



المصدر: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، خطوط انابيب النفط والغاز الطبيعي في غرب اسيا وشمال افريقيا جداول

وخرائط، سلسلة البحث الراجع، مديرية الدراسات الاستراتيجية، بيروت، شباط 2016، 22

3- خط أنبوب روسيا تركيا (السييل التركي 2)، يبلغ طوله نحو 1100 كلم ينقل 63 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي. ويتألف الخط من أربعة خطوط منها خطان يمران عبر البحر الاسود يبلغ طول الواحد منهما 910 كم وعبر الاراضي التركية بطول 260 كم (غاز بروم، <http://www.enabbuladi.net/archives>)، وتتضمن المرحلة الأولى من المشروع مد خط واحد من تلك الخطوط بطاقة 16 مليار متر مكعب ستذهب لسد حاجة تركيا من الغاز. وفي 3 كانون الأولى 2015 اعلن وزير الطاقة الروسي الكسندر نوفاك تعليق المفاوضات بخصوص تنفيذ المشروع بسبب التوتر في العلاقات الدبلوماسية بين موسكو وانقره عقب اسقاط الجيش التركي مقاتلة روسية بقرب الحدود التركية مع سوريا <http://www.tahrirnews.com/posts/>.

ثالثا- المشاريع المخططة:

هناك مجموعة من مشاريع خطوط انابيب نقل الغاز مخطط اقامتها في المدة القادمة، وهذه المشاريع هي الأهم في المرحلة المستقبلية ولها تاثيرات إيجابية وسلبية كثيرة على العلاقات السياسية والاقتصادية والعسكرية للقوى الإقليمية والدولية، وهذه المشاريع هي:

1. خط أنبوب نابوكو: يهدف المشروع الى ربط احتياطات الغاز في اسيا الوسطى عبر بحر قزوين باوربا من خلال خط انابيب يعبر بحر قزوين الى أذربيجان ثم الى النمسا دون المرور بروسيا، لكن المشروع لم ير النور وتم تعطيله وارجاؤه الى أجل إمتد الى عام 2009، وذلك لأسباب عديدة تأتي في مقدمتها لعبة المصالح الكبيرة بين الجغرافية والسياسة والطاقة (جريدة العرب الاقتصادية الدولية، www.aleqt.com)

خريطة (6)

أنبوب غاز روسيا تركيا السيل التركي



المصدر: المصدر: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، خطوط انابيب النفط والغاز الطبيعي في عرب اسيا وشمال أفريقيا جداول وخرائط، سلسلة البحث الراجع، مديرية الدراسات الاستراتيجية، بيروت، شباط 2016، ص23.

لكن بعد ان ابرم الاتفاق بين دول العبور في انقره تقرر البدء في مد خط أنبوب نابوكو في العقد الثاني من عام 2011، وكان من المقرر ان تصل طاقة ضخ الغاز في المشروع 31 مليار متر مكعب سنوياً أو بما يعادل 5-10% من استهلاك الغاز الإجمالي في الاتحاد الأوروبي بحلول عام 2020، كون الاتحاد الأوروبي إحدى أكبر الأسواق استهلاكاً للغاز في العالم. ويبلغ الاستهلاك السنوي الحالي للاتحاد المذكور نحو 600 مليار متر مكعب، ومنتوق أن يرتفع استهلاكه بنحو 200 مليار متر مكعب إضافي بحلول عام 2030 (جريدة العرب الاقتصادية الدولية، www.aleqt.com) ، ومن المتوقع ان تبدأ أولى عمليات التسليم عام 2014، بطاقة سنوية أولية تقدر بين 8 - 10 مليار متر مكعب سنوياً، وتامل تركيا التي تطمح للانضمام الى عضوية الاتحاد الأوروبي ان يعمل مشروع نابوكو على ترسيخ مكانتها اوروبياً من خلال العمل على ان تكون مركز للطاقة بالنسبة للغرب بشكل عام والاتحاد الأوروبي بشكل خاص (جريدة العرب الاقتصادية الدولية، ص11، www.aleqt.com).

خريطة (7)

أنبوب غاز نابوكو



المصدر: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، خطوط انابيب النفط والغاز الطبيعي في غرب اسيا وشمال افريقيا جداول وخرائط، سلسلة البحث الراجع، مديرية الدراسات الاستراتيجية، بيروت، شباط 2016، ص24.

2. خط أنبوب قطر- تركيا، في 2 كانون الأول عام 2015 وقعت تركيا وقطر مذكرة تفاهم أولية لاستيراد تركيا الغاز المسال من قطر على المدى الطويل وبشكل منتظم، وقد اتفق الطرفان ان تكون سعة الانبوب 1.3 مليار متر مكعب (جريدة العرب الاقتصادية الدولية، ص13، www.aleqt.com).

من خلال دراسة امتدادات خطوط نقل الغاز عبر تركيا يلاحظ ان كميات الغاز التي ستصل الى اوربا عبر تركيا بعد انجاز جميع الخطوط قيد الإنجاز والمشاريع المخططة ستبلغ 191.6 مليار متر مكعب والتي تسد 95% من حاجة اوربا عام 2030 والتي ستبلغ 200 مليار متر مكعب من الغاز، وهو ما اعطى وسيعطي تركيا أهمية جيوسراتيجية بالغة الخطورة لكونها الممر الذي ستعبر من خلاله كل او معظم انابيب الغاز التي ستصل الى اوربا، وهو ما اعطى في ذات الوقت دوراً

خريطة (8)

أنبوب غاز قطر تركيا



المصدر: المصدر: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، خطوط انابيب النفط والغاز الطبيعي في غرب اسيا وشمال

افريقيا جداول وخرائط، سلسلة البحث الراجع، مديرية الدراسات الاستراتيجية، بيروت، شباط 2016، ص25.

كبيراً لتركيا تؤديه في الساحتين الإقليمية والدولية، لذلك فهناك توجه روسي وامريكي لاستمالة تركيا كلا الى جانبه، وهذا واضح من خلال الدور الكبير الذي اعطي لتركيا في الصراعات الإقليمية في المشرق العربي ومحيطه الاقليمي لاسيما الصراع في سوريا والعراق، ولذلك سيتناول المبحث الثالث دور امتداد انابيب الغاز عبر تركيا على علاقتها الجيوسياسية مع روسيا.

المبحث الثالث: انعكاسات امتداد انابيب الغاز على العلاقات الجيوسياسية

الروسية التركية

ان التنافس على موارد الطاقة هي إحدى الغايات الرئيسة للدول لاسيما الكبرى منها والتي تسعى دائماً إلى تأكيد نفوذها، وتأمين إحتياجاتها من مصادر الطاقة خصوصاً الغاز، في ظل تسارع وتيرة الإنتاج، وفي ظل اضطرابات مالية

تصيب الاقتصاد العالمي باهتزازات متتالية. وفي ظل السباق على حجز مواقع متقدمة في السوق الدولية، وانتشار ظاهرة الإرهاب، وخروج روسيا من دائرة التنافس الإقليمي الى الساحة الدولية، يبرز دور تركيا في حسابات معظم الدول المنتجة للغاز والتي تمر انابيب الغاز عبر أراضيها وفي مقدمتها روسيا.

ان الموقع السوقي البالغ الأهمية لتركيا كان له تأثير كبير على علاقة تركيا مع معظم دول المشرق العربي وجواره الجغرافي، لاسيما بعد ان تنامت أهمية الغاز الطبيعي في سوق الطاقة العالمي. وقد تأثرت العلاقات الروسية التركية كثيراً بعد ان برز الغاز الطبيعي مصدراً مهماً للطاقة لاسيما وكونه يعد من مصادر الطاقة شبه النظيفة قليلة التلوث. ويظهر ذلك التأثير في العلاقات الاقتصادية، حيث تعد روسيا الشريك الأكبر لتركيا اقتصادياً. لذلك فان العلاقة الجيواقتصادية بين الدولتين معقدة ومتينة، وقد تسارع انفتاح الدولتين تجاه بعضهما حتى توصلتا الى تأسيس مجلس التعاون السوقي رفيع المستوى في عام 2012، ثم كرست القمة الروسية التركية التي عقدت في كانون الأول من عام 2014 شراكتها في مجالات سوقية سريعة ومنها تطوير القدرات الفضائية التركية، وبناء مفاعلها النووي واعتمادها ناقلاً وحيداً للغاز الروسي الى اوربا، وزيادة حجم التبادل التجاري الى مئة مليار دولار (عماد يوسف قدورة، 2015، ص2)، وتطمح تركيا أيضاً الى تجسير الفجوة في العلاقات مع القوى الإقليمية المنافسة مثل سوريا وايران، وتعزيز دورها التفاوضي مع الاتحاد الأوروبي لنيل عضوية الاتحاد، وزيادة دورها الغربي والاطلسي.

اما بالنسبة لروسيا فإنها تطمح ان يساعدها التعاون مع تركيا الى مواجهة المخاطر الاقتصادية المترتبة على العقوبات الغربية التي فرضت عليها بسبب الصراع مع أوكرانيا واحتلال جزيرة القرم والتي تجلت في تصريح وزير المالية الروسي أنطون سلوانوف قبل زيارة الرئيس الروسي بوتين الى تركيا إذ قال: ((اننا نخسر 40 مليار دولار سنويا بسبب العقوبات الجيوسياسية، كما نخسر من 90 الى 100 مليار دولار أخرى بسبب تدني أسعار النفط بنحو 30%)). كما تراجعت

احتياطات النقد الأجنبي في روسيا بمقدار 100 مليار دولار نهاية شهر تشرين الأول من عام 2014 لتصل إلى 428.6 مليار دولار)) (عماد يوسف قدورة، 2015، ص6)، وإيجاد شركاء اقتصاديين كبار ضمن التحالف الغربي لاستقطابهم وتحييدهم عن أي خطط تستهدف احتواء روسيا. فضلاً عن محاولتها التأثير في السياسات التركية تجاه القضايا المتعلقة بنفوذها ومصالحها مثلما أثرت الروابط والتحالفات الغربية بسياسات تركيا مع المشرق العربي ومحيطه الاقليمي.

تعد روسيا المزود الأول للطاقة في تركيا حيث ان قرابة 60% من إمدادات الغاز، و12% من إمدادات النفط تأتي من موسكو. فضلاً عن اتفاق وقع عام 2010 يقضي بقيام "روساتوم" الروسية بإنشاء أول مفاعل نووي لتوليد الطاقة في تركيا بقوة 4800 ميغاوات (مفاعل أك كويو) تبلغ كلفته الإجمالية 22 مليار دولار، وحالياً يجري العمل بين الطرفين على مشروع لنقل الغاز الروسي عبر البحر الأسود مروراً بتركيا، وصولاً إلى اليونان عبر أنابيب يصل طولها 1100 كم، سيحل محل مشروع ساوث ستريم الذي ألغته موسكو في عام 2014، بعد أن كان مقرراً له نقل الغاز الروسي لأوروبا عبر خط أنابيب يمر بوسط أوروبا وصولاً للنمسا، لان المشروع، إن تم، له أهمية قصوى للبلدين. ومن ناحية أخرى ستصبح تركيا بوابة عبور الطاقة للاتحاد الأوروبي بما يعزز موقفها التفاوضي في مسيرة نيل عضوية الاتحاد الاوري التي حدثت بها انفراجه مؤخراً بتعهد رئيسة الوزراء الألمانية ميركل بفتح الباب الـ (17) من فصول المفاوضات المتعلقة بالسياسة المالية، حال قيام تركيا بتنسيق أكبر مع اليونان لمنع تدفق اللاجئين، فمن ناحية ستحتفظ روسيا بقدرتها على التحكم في احتياجات أوروبا في مجال الطاقة، في ظل موجة العقوبات لان الاعتمادية المتبادلة بين الطرفين على مستويات عدة، وفي القلب منها المصالح الاقتصادية العملاقة، وهي بمثابة شبكة الأمان التي ستحتوي أي خلافات بين موسكو وأنقرة، سواء بسبب تباين المواقف من معالجة الأزمة السورية، أو الموقف الروسي من بعض الأنظمة العربية التي ليست على وفاق مع تركيا، أو حتى بسبب إسقاط الطائرة الروسية المقاتلة بجوار سوريا. ولا يوجد

طرف من الطرفين على استعداد للمغامرة بتصعيد الخلاف إلى حد القيام بتصرف عدائي رسمي، قد ينجم عنه استخدام أي شكل من أشكال القوة العسكرية، كما يترقب البعض.

لقد كان لأنابيب الغاز ومرورها تأثير كبير على العلاقات الروسية التركية، لاسيما وان للغاز أهمية كبيرة وتأثير مباشر على الاقتصاد العالمي وعلى الامن والسلم في العالم، خصوصاً وان القوى الدولية، والولايات المتحدة الامريكية في مقدمتها، تسعى لفرض هيمنتها على منابع الطاقة وطرق امداداتها، حيث تعدها سلاح استراتيجي يدخل ضمن حسابات القوى الكبرى.

تمكنت روسيا باعتبارها أكبر مصدر للغاز في العالم من فرض قوة جديدة تهدد من خلالها دول اوربا، لاسيما الغربية منها، بسبب اعتماد هذه الدول على الغاز الروسي إذ تستورد الدول الأوربية نحو 80% من الغاز الطبيعي من روسيا لوحدھا، عبر خط الأنبوب الشمالي المعروف باسم نورث ستريم الذي يربط بين حقول الغاز الطبيعي شمال روسيا وألمانيا عبر بحر البلطيق، فيما تحصل باقي الدول الأوربية على الغاز الروسي من خلال أنابيب الغاز الممتدة من روسيا عبر أوكرانيا إلى الدول الأوربية. لقد برز تأثير دور الغاز في العلاقات الروسية التركية جلياً في ما يأتي:-

1- الصراع الجيوستراتيجي في سوريا:

بعد ان ادرك الروس ان هناك خطط اوربية أمريكية للاستغناء عن الغاز الروسي، لم يبق خيار امام دول غرب اوربا سوى الحصول على الغاز الإيراني بعد رفع العقوبات الاقتصادية عنها، كذلك الحصول على الغاز القطري عبر مد أنبوب لنقل الغاز عبر السعودية وربطه بأنبوب الغاز العربي الذي أنشئ عام 2003 ليتم نقل الغاز المصري من العريش إلى الأردن وسوريا وربطه بمشروع "نابوكو" لتصدير الغاز إلى أوربا والذي تعده روسيا معارضاً لمصالحها ،

اما الخيار الثاني هو الحصول على الغاز القطري المسال ونقله بالسفن عبر الخليج إلى الموانئ الأوروبية، لذلك نجد ان روسيا تتمسك بالرئيس السوري بشار الاسد الذي يحقق مكاسب استراتيجية لروسيا رغم تقاطع ذلك مع السعي التركي لازاحة الرئيس السوري عن الحكم في سوريا.

تتلخص المكاسب السوقية (الاستراتيجية) الروسية من بقاء الاسد، منع تركيا من الحصول على منافع اقتصادية من مرور الغاز القطري عبر الاراضي التركية باتجاه أوروبا، وجعل مشروع انبوب نابوكو ذات جدوى اقتصادية للدول الأوروبية، كما يسمح بوصول الغاز الإيراني إلى الموانئ السورية على البحر المتوسط، حيث تسعى روسيا لإبرام عقود مع إيران طويلة الأمد، تتمكن من خلالها روسيا من تصدير الغاز الإيراني إلى أوروبا، على غرار العقود التي أبرمتها مع تركمانستان وأذربيجان للحصول على إنتاجها من الغاز بأسعار زهيدة، وإعادة تصديرها بالأسعار العالمية للدول الأوروبية.

بعد أن فشلت روسيا في تهديد أوروبا بقطع الغاز عنها عبر أوكرانيا، بفعل الاضطرابات والهجمات المسلحة للمتمردين المواليين لروسيا في أوكرانيا، وجدت روسيا الفرصة مناسبة لتفرض تهديداً جديداً على أوروبا بقطع الإمدادات، التي تسعى للحصول عليها عبر خطوط الغاز العابرة عبر سوريا إلى تركيا ومن ثم إلى أوروبا، بفعل المعارك والصراعات في سوريا، والتحالف مع حزب العمال الكردستاني الساعي لانفصال الأكراد عن تركيا، وبالتالي تهديد الأمن القومي التركي.

وعلى الجانب الآخر من الخليج العربي، وقعت إيران اتفاقية مع العراق وسوريا لإنشاء خط الأنابيب الإسلامي، يتم من خلاله نقل الغاز الإيراني من ميناء عسلوية المطل على حقل غاز الشمال، وهو أكبر حقل غاز في العالم، تتقاسمه إيران مع دولة قطر في مياه الخليج العربي، مروراً بالأراضي العراقية وصولاً إلى سوريا، حيث أكدت إيران بأن الأنبوب الإسلامي سيؤمن كمية 20 مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي سنوياً لدول أوروبا، وهو ما لا يملك خط "نابوكو" تأمينه لأوروبا، بحسب

تصريحات لرئيس الشركة الوطنية للغاز الإيراني، وهو ما يتوافق مع الرؤية الروسية لاستهداف خطوط الغاز القطرية، التي تسعى لتصدير الغاز إلى أوروبا من خلال الربط بأنبوب "نابوكو".

بحسب الاتفاقية التي وقعتها إيران مع العراق وسوريا في عام 2011 في مدينة بوشهر الإيرانية، كان من المفترض أن يبدأ ضخ الغاز بين عامي 2014 و 2016 بمعدل 110 مليون متر مكعب من الغاز الطبيعي يومياً، عبر الأنبوب "الإسلامي"، أي بواقع 40 مليار متر مكعب من الغاز سنوياً، حيث سيحصل كل من العراق وسوريا بموجب الاتفاقية على احتياجاتهما من الغاز البالغة نحو 30.25 مليون متر مكعب يومياً عبر الخط الإيراني، فيما سيحصل لبنان على احتياجاته من الغاز والبالغة 7.5 مليون متر مكعب يومياً عبر الخط المذكور، كما سيتم تزويد الأردن بالغاز الإيراني عبر خط الغاز العربي، ومن هذا المنطلق، يمكن فهم سعي التحالف الإيراني الروسي لإبقاء الرئيس السوري على رأس السلطة في سوريا، وبمشاركة الحكومة العراقية التي دخلت فعلياً في هذا الحلف بغرفة عمليات إيرانية روسية عراقية مشتركة، لإدارة وتنسيق العمليات العسكرية في العراق وسوريا، كما يمكن فهم ما تبذله روسيا لتوريط الأتراك في الصراع في سوريا، وتحريض الأكراد في تركيا لمواصلة قتالهم ضد الحكومة المركزية، فالاستحواذ على خطوط إمداد الغاز المتجهة إلى أوروبا وإحكام سيطرتها على ما تحتاجه أوروبا من الغاز، يمنح الروس الفرصة لفرض نوع من التوازن في القوة العسكرية والاقتصادية مع الدول الأوروبية، الذي تميل كفته في الميزان لصالح الأوروبيين.

2- الصراع الجيوستراتيجي في اوكرانيا:

اثر التزممة الاوكرانية كثيراً على العلاقات الجيوستراتيجية الدولية حيث انها اعادت الحرب الباردة من جديد الى الازهان، حيث ان المواجهة لم تقتصر على روسيا واوكرانيا بل ظهرت ملامح المواجهة بين الاقطاب الدولية والتي يتسارع نفوذها لاستمرار الهيمنة لاسيما القطبين الروسي والامريكي، فتداعيات التزممة في

أوكرانيا على العلاقات التركية- الروسية لها أبعاد متعددة لكن يبقى موضوع امداد الغاز الطبيعي في مقدمتها، اذ يتم تأمين نحو 40% من الغاز الطبيعي المستهلك للاتحاد الأوروبي من روسيا عبر أوكرانيا، ويرى البعض ان الولايات المتحدة صنعت الازمة في اوكرانيا لكي تقوم بضرب الاقتصاد الروسي، من خلال تقويض صادرات روسيا من الطاقة الى اوربا (محمود خليفة جودة، 2015، ص165).

تمتد شبه جزيرة القرم على مساحة عشرة آلاف ميلاً مربعاً (25600 كم2)، ويبلغ عدد سكانها نحو مليوني نسمة، وهي مرتبطة بالبر الرئيس من خلال مضيق ضيق على شكل مستنقع، بيد أنها جزيرة منفصلة عن البر الرئيس في أوكرانيا وروسيا من الناحية الفعلية، وذلك عن طريق بحر آزوف، وهو خليج ممتد من البحر الأسود يبلغ اتساعه بحجم الجزيرة ذاتها، وقد أتاحت الطبيعة الجغرافية الخاصة لشبه جزيرة القرم على حفاظها على هوية منفصلة عن البر الرئيس في أوراسيا إلى الشمال، أما قبل بداية العصر الحديث كان سكان شبه جزيرة القرم ينتمون بشكل شبه كامل للعرق التركي ويتحدثون اللغة التترية، مما جعل شبه جزيرة القرم ولاية في الكومنولث تحت حكم الإمبراطورية العثمانية، وبالرغم من ذلك فرضت الإمبراطورية الروسية سيطرتها تدريجياً على أقاليم ولاية القرم مع توسعها في حوض البحر الأسود، وفي عام 1774 تخلى العثمانيون عن سيطرتهم على ولاية القرم، التي أصبحت بعد ذلك ولاية مستقلة لكن سرعان ما ابتلعها الإمبراطورية الروسية، وبعد ذلك رأت روسيا أن شبه جزيرة القرم تمثل منفذاً حيويًا إلى البحار الدافئة، وأنشأت أسطولها في البحر الأسود في مياه عميقة بميناء سيفاستوبول في شبه جزيرة القرم في عام 1783 (سونر چاغابتاي وجيمس جيفري، مارس 2014).

وفي عام 1954 قام رئيس الاتحاد السوفيتي، آنذاك، خروتشوف بنقل القرم من الجمهورية الاشتراكية السوفيتية الروسية إلى الجمهورية الاشتراكية السوفيتية الأوكرانية "هدية" لأوكرانيا. ونظراً للأهمية السوقية لشبه جزيرة القرم من وجهة نظر موسكو، حافظت روسيا على تواجدتها العسكري في شبه الجزيرة.

ومؤخراً في عام 2010، وقّعت روسيا وأوكرانيا معاهدة لتأجير ميناء سيفاستوبول في شبه جزيرة القرم لموسكو من أجل استخدامه من قبل الأسطول الروسي حتى عام 2042، ويعارض التتار بشدة عودة الحكم الروسي إلى شبه جزيرة القرم، وعقب الإطاحة بالزعيم الأوكراني فيكتور يانوكوفيتش في 22 فبراير، شارك العديد من التتار في مسيرات مناهضة لروسيا في شبه جزيرة القرم، التي تعد حصناً للموالين لروسيا (سونر چاغاتاي وجيمس جيفري، مارس 2014).

لقد اتخذت تركيا جانب الغرب الموالي لأوكرانيا وذلك لان هناك عداء تاريخي بين تركيا وروسيا، الأمر الذي دفعها للانضمام لحلف شمال الأطلسي، كما أن منطقة القرم يتواجد بها أقلية تركية يطلق عليها تتار القرم وتنظر تركيا إليهم على أنهم جزء من العالم التركي، وبعد الانفصال عن أوكرانيا أضحت الأقلية التركية تحت رحمة الأغلبية الروسية، وتسعى تركيا من خلال هذا الموقف الداعم للغرب إلى نيل رضا الغرب والولايات المتحدة الأمريكية اللذين ينتقدان السياسة التركية الداخلية، كما ان الأزمة الأوكرانية دفعت بتركيا إلى أن تكون بين معضلتين، بشأن العلاقات الاقتصادية مع روسيا، والعلاقات الجيوسياسية مع الاتحاد الأوروبي، وهو ما دفع تركيا للتقارب مع روسيا مؤخراً وعقد العديد من الاتفاقيات الاقتصادية والتجارية مع موسكو، مع التأكيد على الموقف التركي الرسمي الداعم للقضية التتارية، والاعتراف بحقوق شعب تتار شبه جزيرة القرم، ومطالبة الجانب الروسي بالالتزام بالقوانين الدولية (سونر چاغاتاي وجيمس جيفري، مارس 2014).

فضلت تركيا خيار عدم إثارة المشاكل مع جيرانها، والذي أتى ثماره في العلاقات مع كل من روسيا وأوكرانيا في آن واحد، وذلك للحفاظ على التوازن الإقليمي لتركيا مع أوروبا، وكسب الدعم الأمريكي من جانب، والحفاظ على المكاسب الاقتصادية مع روسيا، والتي تدعم الخطط المستقبلية لحكومة العدالة والتنمية، كما تدرك تركيا أن واردات الغاز الطبيعي من روسيا تمثل حالياً 60 % من احتياجاتها، وعليها أن تحافظ على دور الوسيط في حل الأزمة الأوكرانية إلى أن تتمكن من التخلص من التبعية الروسية (تامر بدوي، 2014، ص 4-3).

لقد انعكست الازمة الأوكرانية إيجابياً في مجال امداد الطاقة ومرورها عبر تركيا الى اوربا، وذلك لان هذه الازمة نقلت الكثير من المشاريع الاستراتيجية الروسية لإمداد اوربا بالطاقة الى تركيا بعد ان كان مخطط لها المرور عبر أوكرانيا والبحر الأسود ومن اهم هذه المشاريع خط السيل التركي الذي جاء بديلاً عن خط السيل الجنوبي الذي كان من المخطط له ان يمر عبر دول البلقان ووسط اوربا. ويعود ذلك كما ذكرنا إلى موقف الاتحاد الأوروبي “غير البناء” كما وصفه بوتين وفرضه شروطاً تعجيزية، وصفها بوتين بأنها ضغوط سياسية للتأثير على موقف روسيا حول الأزمة في شرق أوكرانيا.

ومن خلال ماتقدم يمكن القول إن مستقبل تلك العلاقات التركية الروسية مرهون بمستقبل أمن الطاقة في أوربا وخصوصا امدادات الغاز، وهذا يدفع باتجاه طرح تصورين لمستقبل تلك العلاقات وهما:

الأول: استمرار تلك العلاقات على نهجها الحالي في ضوء التوصل بين الدولتين، إلى تفاهم وتنسيق المواقف لاسيما ما يخص الصراع الجيوستراتيجي في سوريا، والسعي للاتفاق على شكل العملية السياسية فيها، لكن لا يمكن تجاهل الدور الأمريكي الساعي للعودة بقوة الى الصدارة العالمية بعد ان تراجع الدور الأمريكي عالمياً في زمن أوباما، كذلك فوز الرئيس ترامب وتوطيد علاقاته مع دول المنطقة وفي مقدمتها السعودية حيث شكلت تحالف من 55 دولة اسلامية، في مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية فضلا عن تركيا، وهذا سيدفع روسيا الى السعي للعودة بقوة للمنطقة في المستقبل القريب وتشكيل تحالف حتى وان كان مع الدول نفسها التي تحالفت معها الولايات المتحدة الامريكية.

الثاني: تدهور العلاقات بين تركيا وروسيا نتيجةً لخلاف الدولتين في قضية بقاء الرئيس السوري على رأس الحكم في سوريا، كذلك دخول تركيا كما ذكر في النقطة السابقة في الحلف الأمريكي الإسلامي الذي اقامته السعودية في مجموعة المؤتمرات التي عقدها السعودية عند زيارة الرئيس الأمريكي ترامب للسعودية،

ولا يمكن تجاهل حقوق التتار الاتراك في جزيرة القرم التي احتلتها روسيا، كل ذلك يُحتمل ان يؤدي الى تدهور العلاقات التي هي بالاساس تحتاج الى بناء ثقة وتعزيز أكبر للمصالح السياسية والاقتصادية بين البلدين.

الخاتمة

تشير الدلائل إلى أن مصادر الطاقة ستؤدي دوراً بارزاً في شكل الجغرافية السياسية والاقتصادية للعالم في الالفية الثالثة من خلال ظهور معايير للطاقة، نفطية وغازية، جديدة ومنفتحة على احتمالات متعددة، ومن هذه المعابر منطقة البحر الأسود وبضمنها تركيا وروسيا، وهي المنطقة الوسيطة التي تقوم بدور مهم في تجارة النفط والغاز، والمرشحة لأن تنمو كمجال حيوي لتجارة الطاقة على تقاطع طرق عالمية.

كما وفتحت الصراعات المحلية بين الدول الباب على مصراعيه امام الدول الكبرى للبحث عن مصالحها في المنطقة، وكان الصراع حول الغاز الطبيعي أبرز وأهم هذه الصراعات لاسيما وأنه يعد المادة الرئيسية للطاقة في القرن الحادي والعشرين، سواء من حيث البديل لتراجع احتياطي النفط عالمياً، أو من حيث الطاقة النظيفة، والحاجة إلى تلك الطاقة ستزيد من تفاقم الصراع، حيث أن المخزون العالمي للطاقة لا ينمو بمعدلات تواكب الطلب المتزايد، فسيشهد الربع الأول من الألفية الثالثة زيادة في إستهلاك الغاز بنسبة 57% عما هو عليه الآن، مما سيزيد من حدة الصراع والتنافس الدولي حوله.

هذا يوضح أهمية وخطورة موقع تركيا، فهي تقع في قلب العالم القديم، الامر الذي يؤهلها لأن تكون دولة محورية أو حاسمة في المجال الجيوسياسي، ويؤهلها في ذلك كونها دولة قارية وبحرية في الوقت ذاته، وتحدها ثماني دول، كما تحدها المياه من ثلاث جهات، وتسيطر على ممرين مائيين مهمين، وتتمتع بموقع جغرافي سوقي(ستراتيجي)، مما يعطيها القدرة على التحكم في هذه المنطقة الحيوية،

وبالتالي تُعد ممراً لعبور السلع التجارية، وحلقة وصل بين روسيا وآسيا الوسطى وأوروبا، والأخيرة هي واحدة من أكبر مستهلكي الغاز في العالم، فضلاً عن مجاورتها لدول تملك 70% من احتياطات الغاز المعروفة في العالم، وأن أربع دولٍ منها (هي روسيا، إيران، قطر، تركمانستان) تمتلك 58% من احتياطات الغاز في العالم و66% من إنتاجه العالمي والبالغ في عام 2015 نحو 3644 مليار متر مكعب، وهو ما سيساهم بقوة في التأثير على العلاقات السياسية للدول الأربع المذكورة خصوصاً وأن روسيا تُعد الشريك الأكبر لتركيا اقتصادياً، وقد تمخض عنه إنشاء مجلس التعاون الاستراتيجي بينهما في عام 2012، وان 60% من إمدادات الغاز و12% من إمدادات النفط في تركيا مصدرها روسيا عبر الأنابيب الممتدة في الأراضي التركية، ويمكن أن تؤدي هذه الأنابيب دوراً إيجابياً في تخفيف حدة التوتر، وتوثيق التعاون الدولي، وتعزيز الامن العالمي.

وأدرجت تركيا أهمية تعاونها التجاري، لذلك وصلت علاقتها تلك إلى ذروة غير مسبوقة من التعاون مع بداية الألفية الثالثة، وتحول الطرفان إلى مفتاح للأمن والاستقرار في منطقة آسيا الوسطى والقوقاز رغم ما فيهما من عناصر توتر، في وقت شهد فيه العالم أزمة اقتصادية عميقة لا تزال تلقي بظلالها إلى اليوم.

ويتوقع الكثير من الخبراء أن تحل تركيا محل روسيا كأكبر عاشر قوة اقتصادية في العالم مع منتصف العقد المقبل، فعلى المدى البعيد تتجه تركيا، بحسب التقارير العالمية، إلى تحقيق نسبة نمو اقتصادي لا تقل عن 4.5%، بينما لا تزيد عن 2.5% في روسيا، وبحسب التوقعات يقترب عدد سكان البلدين من التساوي خلال العقدين القادمين رغم التفاوت الحالي بينهما لصالح روسيا (143 مليون مقابل 80 مليون نسمة)، فبينما سيتراجع عدد سكان روسيا إلى 115 مليون مقابل وصول سكان تركيا إلى أكثر من 100 مليون نسمة، وما لهذه المؤشرات من تأثير على النمو الاقتصادي.

وبعد إنجاز انابيب نقل الغاز عبر الأراضي التركية يتوقع أن تبلغ كمية الغاز الواصلة إلى أوروبا نحو 200 مليون متر مكعب سنة 2030، وأن هذه الكمية ستسد

نحو 95% من حاجة هذه القارة، وهو ما أعطى وسيعطي لتركيا دوراً كبيراً في الساحتين الإقليمية والدولية لاسيما في الصراع الدائر في كل من سوريا والعراق، وهو واضح من خلال توجه كل من روسيا وامريكا لاستمالة تركيا إليهما. يمكن القول أن مستقبل العلاقات التركية الروسية مرهون بمستقبل الطاقة في اوربا لاسيما إمدادات الغاز، وهو ما يدفع باتجاه طرح تصورين لمستقبل تلك العلاقات هما:-

الأول: استمرار تلك العلاقات الجيوسياسية على نهجها الحالي القائم على التفاهم والتنسيق بين الطرفين.

الثاني: تدهور تلك العلاقات الجيوسياسية بسبب وجود الخلاف بينهما حول قضايا كثيرة ولا سيما حول القضية السورية.

ورغم أن خيار التهدئة هو الخيار الأفضل للطرفين، فإن سيناريو الإنزلاق إلى التصعيد يُعد أمراً وارداً بسبب حالة الغليان التي تعيشها المنطقة.

المصادر :

1. بدوي، ت، 8 يوليو 2014، تركيا وجيوبوليتيك الطاقة: الخيارات المحتملة بعد الأزمة الأوكرانية، ط1، القاهرة، مركز الجزيرة للدراسات.
2. جاغتاياي، س، وجيمس جيفري، 2014، ردود فعل تركيا الخافتة على أزمة جزيرة القرم، معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، العدد 2219.
3. جريدة العرب الاقتصادية الدولية، راجع الموقع على النت:
http://www.elegt.com/2009/07/25/article_255824.html
4. خليفة، ج محمود ، 2015، أبعاد الصعود الروسي في النظام الدولي وتداعياته (2000-2013)، جامعة القاهرة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.
5. العلاقات التركية الروسية المتوقعة لعام 2017. راجع الموقع على النت:

www.tahrirnews.com/posts/

6. قدورة، ع يوسف، 2015، روسيا وتركيا: علاقات متطورة وطموحات متنافسة في المنطقة العربية، قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تحليل سياسات.
7. مجلة القافلة، " البحر الأسود معبر نفطي مرشح للنمو"، العدد 14، مايو _ يونيو 2005.
8. المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، خطوط أنابيب النفط والغاز الطبيعي في غرب آسيا وشمال أفريقيا: جداول وخرائط، سلسلة البحث الراجع، مديرية الدراسات الاستراتيجية، بيروت، شباط 2016.
9. معهد بروكنجز، استقرار الطاقة أم شعور خاطئ بالأمان: كيف تقوم التحولات الجيوسياسية وتغيرات الاقتصاد السياسي وتقلبات الأسواق بتغيير المشهد العام للطاقة، الدوحة، 2015.
10. منظمة الأقطار العربية المصدرة للنفط (أوبك)، التقرير الإحصائي السنوي لعام 2016، الكويت، 2017.
11. منظمة الأقطار المصدرة للنفط (أوبك)، ملخص دراسة الآفاق المستقبلية لمصادر الطاقة المختلفة من مزيج الطاقة العالمي حتى عام 2040، أكتوبر 2016.

12. BP, Statistical, Review of Word Energy, June 2016.

13. http://www.eni.com/it_IT/home.page

14-<http://www.enabbuladi.net/archives>